مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨١/٩/١٣

فتن ما لهـا من قرار :

وهـذا طـريق النجـاة

في قول لبعض اهل اللغة : ان الفتنة هي الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار وقال بعض اخر : انها محنة ، الا نرى لفتنا معبرة عن واقعنا وما نحن فيه من فتن ، حارقه او حالقه ، سبق ان اشار اليها رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام حين قال فيما روى عنه : «انى ارى الفتن خلال بيوتكم ، فانه يكون القتل والحروب والاختلاف» .

ان الامور قد اختلطت على كثير من الناس ، فكثر المتقالون ، وامتد فكرهم الى ما لا يفقهون مدعين ان لكل فكر ، وان اى فكر ان لم يستسغه الناس اكرهوا عليه ، باسم الدين تارة ، وتارة اخرى بعنوان الاجتهاد والتجديد ، مستمرئين جحود فضل العلم ، واهله داعين الى ازدرائهم والتخلى عن الاقتداء بهم والى التحلى بشعارات ليست من الاسلام ، مشككين الناس فى عباداتهم مثيرين للشغب الفكرى ، حتى علا صوتهم فى غير موضعه ، وجاهدوا فى غير عدو ، تاركين موضع الجهاد والاجتهاد .

اختلفت الاراء واحتدم الجدل ، وفى اى مكان تسير تسمع نمطا حول تفسيرات للقرآن الكريم واياته لا تنم عن علم او حكمة او سداد فى الراى فهذه جماعة تتبع رائدا دعا الناس الى ان ياكلوا ويشربوا فى ليل رمضان حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . وماذا فى هذا .. انه نص القرآن ، لكن هذه الجماعة او دعاتها فسروا الآية كما فسرها اعرابى غير ناضج وظل ياكل ويشرب حتى وضح النهار ، وجاء بعقالين احدهما ابيض والآخر اسود وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد وضعتهما تحت راسى وظللت اكل حتى تبينتهما فضحك رسول الله من قوله وفهمه وقال له ياعريض القفا ليس بذاك ، انما هو طلوع الفجر وعلمه فقه هذه الاية . لرايتم كيف فسد الفهم ، ففسدت العبادات ، وذاك هو الجديد من العلم الذى جاء به بعض هؤلاء الناس الذين تصدوا للدعوة وللفتوى ، واختلط فيه الأمر على الناس ، فهم

يرون من يلبسون الثياب التى توحى بأنهم نو بصر فى الدين ، ويحكمون بالحلال والحرام تسوقهم احلامهم ، وتسول لهم نفوسهم ان يقولوا فى دين الله بغير علم ، لقد اجتراوا على تفسير ايات الله التى كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفون عن تاويلها ورعا وخشية لله ان يضلوا عن فهمها على وجهها ، وهم اهل لغة القران وافصح العرب بها ، لقد سلك اولئك القوم طريقا غير طريق رسول الله فى الدعوة الى الله ، وفى النصح ، فصاح خطباؤهم باسماء الناس رجالا ونساء معرضين ومصرحين باتهامات ناسين او جاهلين او متجاهلين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان وحى الله يخبره بمخالفات بعض المسلمين لأوامر الله ، او تبلغه من الناس ، فيقف على منبره الشريف مذكرا قائلا : ما بال اقوام يفعلون كذا او يقولون كذا ، مشيرا الى الذنب الذى ينهى عنه ، دون ان يذكر اسم فاعله ، ويشهر به ، لأن القصد النهى عن ذنب وليس التشهير بفاعله .

اوامر وتفسيرات ، وفتاوى ، تتهاوى على رؤوس الناس كالسيل المنهمر او كالحجارة تدمى ، بل تعمى وتصم .

لقد اطلت الفتنة برأسها ، بل لقد اوشكت ان تندلع نارها ، لا بين المسلمين والمسيحيين فقط ، بل بين المسلمين انفسهم ، فقد ادعى العلم بالدين من ليس لهم رشد فيه ، ولا اساس وخلطوا اعمالا سيئة بعمل صالح ، وكان لابد من وقفة مع النفس ، كان لابد ان يوقف التقول على الله وفى دين الله ، وان يرد الأمر كله الى الله كما امر ، نجتلى حكمه من القران ومن سنة رسول الاسلام ، ومن اقوال الائمة الاعلام الذين اهتدوا الى علم القران والسنة مسترشدين بعلومهم وما حصلوا منها من فقه فى دين الله وشرعه . تذكرنا هذه الفتنة ، بشبيهة لها اشتعلت فى القرن الرابع الهجرى فى بغداد وما حولها ، اثارها الجامحون من اتباع الامام الجليل احمد بن جنبل عن غير وعى بفقهه ، ولافهم لاصوله ، فتهجموا على الناس ، يضربون ويدوسون الحرمات ، وينتهكون المساجد التى لا تتبعهم ، وينهبون ويحرقون باسم الدين ، بل باسم الخلاف المذهبى .

وما اشبه الليله بالبارحة ، ومن اظلم ممن افتى بدون علم ، لقد ظلم نفسه واضل غيره ، وحمل الاثم والوزر كله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من افتى بغير علم كان اثمه على من افتاه) . ومن هنا نص الفقهاء فى بيان احكام الجهة وواجب القائم بها من اولى الامر على انه اذا وجد من يتصدى لعلم الشرع ، وهو ليس من اهل الفقه ، ولم يؤمن اغترار الناس به فى سوء تاويله او تحريفه للاحكام ، انكر على هذا الذى تصدى الى ما ليس من اهله ، واظهروا امره حتى لا يغتر الناس به ، فقد مر على بن ابى طالب رضى الله عنه بالحسن البصرى وهو يتكلم على الناس فاختبره . فقال له : ما عماد الدين .؟ فقال الورع ، قال فما افته .؟ قال : الطمع . قال : تكلم الان ان شئت .كما نصوا على انه اذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله بتاويل غير صحيح وجب منعه من ذلك .

ومن هنا وجب على ولى الامر حماية الدين من الذين يدعون العلم به ، وافعالهم تظهر جهلهم وبعدهم عن فهمه ، واذا كان القانون يمنع ان يزاول انسان الطب دون دراسة وتدريب ثم ترخيص ، كما يمنع ان يزاول المحاسب ، والمهندس عمل مهنته الا بعد اثبات صلاحيته ، فاولى ثم اولى علوم الدين وفقه الشريعة ، لا يتصدى ببيانها للناس الا اصحاب العلم بها ، حتى لا يضل هؤلاء الادعياء عن طريق الله ، فيفسدون فى الارض ، وينحرفون عن الجادة ، وهذا التخصص ليس بدعا وانما هو امر الله فى القران (فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) حتى اذا ما اقتصر بيان الاحكام على اهل العلم بها ، لم يكن ذلك التضارب فى الفتاوى ، وفى التفاسير للقران ، والتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم : نريد شيئا من الالتزام ، فقد شاع التخصص فى العلم وذاع ، فترك الامور على ما هى عليه من انتحال صفة العلماء المفسرين والمتفقهين امر جد خطير ولا سيما فى تكوين الشباب ، والانحراف بهم عن الطريق السوى ، وهو فى الوقت ذاته زلزلة للعقيدة فى نفوس الشباب الصغار . ثم ان المجتمع المصرى عاش فى مودة ووئام تسوده المحبة والتعاون ، والتاخى فى الوطن هذا المجتمع

الذى تصدى للصليبية الغربية التى جاءت فى موجات عسكرية تغزو مصر وما حولها من بلاد الاسلام ، تصدى مجتمع مصر ، المسلمون والاقباط يدفعون الغزاة عن بلادهم ، ولم يتاخر الاقباط عن الذود عن مصر ، بل كانوا مع مواطنيهم من المسلمين يقاتلون صفا واحدا ، فيقتلون ويقتلون ولم تفرق جيوش الغزاة من مسيحيى الغرب بين المسلم وبين المسيحى المصرى لان الكل كانوا مصريين فى ميدان الحروب .

ومن خلق القرآن حسن الدعوة ، واحسان المجادلة ؟ (ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) وحين بين القرآن الكريم حقوق الجوار وحين شرحت السنة هذه الحقوق واكدتها لم تفرق بين الجيران فى الحقوق بسبب الدين ، بل نبهت الى ضرورة الوفاء بحقوق الجيرة .

ان على كل مواطن مسلم او مسيحى ، التزام واجب بحكم دينه ان يحترم حقوق الاخرين ويقوم بواجبه نحوهم ، على كل مواطن ان لا يصدق كل شائعة ، وان يغلب جانب العقل ، والتانى ، لا التسرع والجموح لمجرد خبر بلغه ، فما افسد الاخبار الا رواتها ، ان تلك الحكمة العظيمة الكريمة من نبى الاسلام التى قال فيها : (انصر اخاك ظالما او مظلوما) قالوا : ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما : فقال الرسول : ان تمنعه عن الظلم .

ان الاسلام كما حرم دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ، حرم كذلك الاعتداء على المواطنين من غير المسلمين فأمر بحمايتهم والدفاع عنهم واغاثتهم اذا نزلت بهم نازلة ، لأن الاسلام اخى بين بنى الانسان (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

ولعلنا ونحن ندرك مدى خطورة هذه الفتنة نعود الى ترتيب البيت الذى هبت عليه هذه العاصفة العاتية فنبحث امر غيبة الدين وتعاليمه الصحيحة عن المدرسة ، بمراحلها وعن الجامعة ، فنسد هذا الفراغ ، اذ كما ننشىء وحدات صحية مدرسية وجامعية ، ننشىء كذلك وحدات واعية بالدين وامور واحكامه تنتشر بين ابناء باقى

مراحل التعليم ، وحتى فى المصانع وفى الحقول وفى كل التجمعات ، تبين للناس جميعا ما نزل اليهم من الهدى ودين الحق .

ولعلنا لا نصد الناس عن العودة الى الدين بالسخرية منهم ، فاذا راينا فتاة او سيدة سترت جسدها وحفظت نفسها عن الغواية فعلينا ان نكرمها ونحترمها لتكون قدوة لغيرها . (ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى ..) .

لعلنا نذكر دائما . ان افكارا ومذاهب سياسية واجتماعية ، قد اجتاحت عقولنا وغلبت على ثقافتنا ، بما تهيا لها من وسائل الغلبة والتغلب فاضلت قلة من نوى الفكر وازاغت ابصارهم فحسبوا انهم القادة والرواد للشعب ، فلما انكشف زيفهم وضلالهم لشعب متدين بطبعه ، لجاوا الى الدين فلبسوا ثوب الدعاة ، يثيرون المسلم على المسيحى ، والمسيحى على المسلم ، لان المصرى داب وتربى على الدين ، فهى ضلالة باسم الدين ، وهى فرقة من حيث تلزم الوحدة ، فان المتدين اعرف بالحقوق والواجبات وارعى لها ، واقوى عليها .

انها فتن كقطع الليل المظلم ، ليست بين المسلم والمسيحى فقط . بل انها كادت تكون بين المسلمين انفسهم ، وربما بين المسيحيين كذلك ، فقد تهاوت القيم والقمم ، امام معاول الهدم التى لا تفتا تنخر فى الاساس ، لقد ركب اعداء الله والوطن موجة الدين والتدين ، املا فى ايقاع فتنة لكن خابوا فكلما اوقدوا نارا اطفاها الله وحمى كنانته منها ومن شرهم ، والله من ورائهم محيط . ان طاعة الله هى السبيل الى مكافحة الفتن والفرقة ، وتبصرة الناس بالحق وبالواجب امر يجب ان يحظى بالعناية من وسائل الاعلام ، وان من الحرص على الدين العمل باحكامه ، بل ان ثمرة التدين العمل بأحكام الدين .

فاذا استقام المسلم على اوامر الاسلام واستقام المسيحى على اوامر المسيح ، استقامت لهم الحياة ، لان الدين جاء لاصلاح المجتمع الانسانى ، وترك التدين للاقتناع (لا اكره فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

ان اختلاف الناس امر يجرى مع حقيقة تكوينهم ونوازعهم ، وهم جد مختلفون فى امور الدنيا ، فما بالك فى امور الدين .؟ . ولكن الخلاف فى الراى لا يفسد للود

قضية ، اذا حكم العقل عواطف الناس وانفعالاتهم ، وبرئوا من المؤثرات الدافعات للشر ، وتمردوا على اولئك الذين لا يرعون حق الله وحق الوطن حين يبثون السموم ، وينشرون الفرقة ويستثيرون الدين فى نفوس المتدينين لا تحريضا على الاستمساك به وانما دفعا للانفلات منه ، تحقيقا لماربهم الذاتية ، وان ربك لبالمرصاد ، يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته .

ان مصر بشعبها الذاكر لله ، ستظل فى رعاية ربها امنة مطمئنة سخاء رخاء تفخر بوحدتها وتفاخر بريادتها لامتها ، يهابها الاقوياء ويأوى اليها الضعفاء ، يجد فيها المكروب مامنه فكيف بابنائها ؟ انهم اولى بها . فاللهم اجمع شملهم ، ووحد على الحق والهدى كلمتهم ، وبصرهم بما يصلحهم وينير بصائرهم ، حتى يعفوا ويتصافحوا ، ومن عفا واصلح فاجره على الله ، وانهم لاهل التقوى واهل المغفرة .

جاد الحق على جاد الحق

مفتى الجمهورية